

<https://www.foreignaffairs.com/israel/middle-east-robert-pape>

### لماذا تجعل استراتيجية إسرائيل الفاشلة عدوها أقوى؟

لقد مرت تسعة أشهر على العمليات القتالية الجوية والبرية الإسرائيلية في غزة، ولم تهزم حماس. إسرائيل ليست قريبة من القضاء على الجماعة الإرهابية. والحقيقة أن حماس اليوم، وفقاً لمقاييس مهمة، أقوى مما كانت عليه في 7 تشرين الأول (أكتوبر).

منذ هجوم حماس المروع في أكتوبر الماضي، غزت إسرائيل شمال وجنوب غزة بحوالي 40 ألف جندي مقاتل، وهجرت 80% من السكان قسراً، وقتلت أكثر من 37 ألف شخص، وأسقطت ما لا يقل عن 70 ألف طن من القنابل على القطاع (وهو ما يتجاوز الوزن الإجمالي للقنابل التي ألقيت على لندن ودريسدن وهامبورغ طوال الحرب العالمية الثانية)، ودمرت أو ألحقت الضرر بأكثر من نصف المباني في غزة، وقيدت وصول المياه والغذاء والكهرباء إلى المنطقة، مما ترك جميع السكان على حافة المجاعة.

ورغم أن العديد من المراقبين سلطوا الضوء على عدم أخلاقية سلوك إسرائيل، فإن القادة الإسرائيليين ظلوا يزعمون على نحو ثابت أن هدف هزيمة حماس وإضعاف قدرتها على شن هجمات جديدة ضد المدنيين الإسرائيليين لا بد أن يكون له الأسبقية على أي مخاوف بشأن حياة الفلسطينيين. ويجب قبول معاينة سكان غزة باعتبارها ضرورية لتدمير قوة حماس.

ولكن بفضل الهجوم الإسرائيلي، فإن قوة حماس آخذة في النمو فعلياً. وكما ازدادت قوة الفيتكونغ خلال عمليات "البحث والتدمير" الضخمة التي اجتاحت معظم أنحاء فيتنام الجنوبية في عامي 1966 و1967 عندما أرسلت الولايات المتحدة قواتها إلى البلاد في محاولة غير مجدية في نهاية المطاف لتحويل الحرب لصالحها، وتظل حماس مستعصية على الحل، وقد تطورت إلى قوة عصابات عنيدة ومميّنة في غزة - مع استئناف العمليات الفتاكة في المناطق الشمالية التي يفترض أن إسرائيل طهرتها قبل بضعة أشهر فقط.

إن الخلل الرئيسي في استراتيجية إسرائيل ليس فشل التكتيكات أو فرض قيود على القوة العسكرية - تماماً كما لم يكن لفشل الاستراتيجية العسكرية للولايات المتحدة في فيتنام علاقة تذكر بالكفاءة الفنية لقواتها أو القيود السياسية والأخلاقية على استخدامات القوة العسكرية. بل إن الفشل الذريع كان عبارة عن سوء فهم فادح لمصادر قوة حماس. ومما ألحق ضرراً كبيراً بإسرائيل أنها فشلت في إدراك أن المذبحة والدمار الذي أطلقتته في غزة لم يؤدي إلا إلى زيادة قوة عدوها.

### "مغالطة إحصاء الجثث"

لعدة أشهر، ركزت الحكومات والمحللون اهتمامهم على عدد مقاتلي حماس الذين قتلهم قوات الدفاع الإسرائيلية، كما لو كانت هذه الإحصائية هي المقياس الأكثر أهمية لنجاح الحملة الإسرائيلية ضد الجماعة. ومن المؤكد أن العديد من مقاتلي حماس قد قُتلوا. وتقول إسرائيل إن 14.000 من مقاتلي حماس الذين يقدر عددهم بـ 30.000

إلى 40.000 مقاتل قبل الحرب قد ماتوا الآن، بينما تصر حماس على أنها فقدت فقط ما بين 6.000 إلى 8.000 مقاتل. وتشير مصادر استخباراتية أمريكية إلى أن العدد الحقيقي لقتلى حماس يبلغ نحو 10 آلاف.

ومع ذلك، فإن التركيز على هذه الأرقام يجعل من الصعب تقييم قوة حماس بشكل حقيقي. وعلى الرغم من خسائرها، لا تزال حماس تسيطر بحكم الأمر الواقع على مساحات واسعة من غزة، بما في ذلك المناطق التي يتركز فيها المدنيون في القطاع الآن. ولا تزال الجماعة تتمتع بدعم هائل من سكان غزة، مما يسمح للمسلحين بالاستيلاء على الإمدادات الإنسانية حسب الرغبة تقريباً والعودة بسهولة إلى المناطق التي "طهرتها" القوات الإسرائيلية سابقاً. ووفقاً لتقييم إسرائيلي حديث، أصبح لدى حماس الآن عدد أكبر من المقاتلين في المناطق الشمالية من غزة، التي استولى عليها جيش الدفاع الإسرائيلي في الخريف على حساب مئات الجنود، مقارنة بما لديها في رفح في الجنوب.

وتشن حماس الآن حرب عصابات، تنطوي على نصب كمائن وقنابل بدائية الصنع (غالباً ما تكون مصنوعة من ذخائر غير منفجرة أو من أسلحة جيش الدفاع الإسرائيلي)، وهي عمليات مطولة قال مستشار الأمن القومي لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو مؤخراً إنها قد تستمر حتى نهاية عام 2024 على الأقل. ولا يزال بإمكانها ضرب إسرائيل، ومن المرجح أن حماس لديها حوالي 15 ألف مقاتل - أي ما يقرب من عشرة أضعاف عدد المقاتلين الذين نفذوا هجمات 7 أكتوبر/تشرين الأول. علاوة على ذلك، لا يزال أكثر من 80% من شبكة الأنفاق تحت الأرض التابعة للتنظيم صالحة للاستخدام في التخطيط وتخزين الأسلحة والتهرب من المراقبة والهجمات الإسرائيلية. ولا تزال معظم القيادات العليا لحماس في غزة على حالها. باختصار، لقد أفسح الهجوم الإسرائيلي السريع في الخريف المجال لحرب استنزاف طاحنة من شأنها أن تترك لحماس القدرة على مهاجمة المدنيين الإسرائيليين حتى لو واصل جيش الدفاع الإسرائيلي حملته في جنوب غزة.

غالباً ما كانت عمليات مكافحة التمرد الفاشلة في الماضي تركز على إحصاء أعداد القتلى من الأعداء. ويواجه الجيش الإسرائيلي الآن وضعاً مشابهاً لذلك الذي أعاق القوات الأمريكية في أفغانستان لسنوات. التركيز العنفي على عدد الجثث يخلط بين النجاح التكتيكي والاستراتيجي، ويهمل التدابير الرئيسية التي تظهر القوة الاستراتيجية المتنامية للخصم على الرغم من الخسائر المباشرة. بالنسبة للجماعة الإرهابية أو المتمردة، المصدر الرئيسي للقوة ليس حجم الجيل الحالي من المقاتلين، بل قدرتها على كسب المؤيدين من المجتمع المحلي في المستقبل.

### مصادر القوة

إن قوة جماعة مسلحة مثل حماس لا تأتي من العوامل المادية النموذجية التي يستخدمها المحللون للحكم على قوة الدول - بما في ذلك حجم اقتصادها، والتطور التكنولوجي لجيوشها، ومدى الدعم الخارجي الذي تتمتع به، وقوة أنظمتها التعليمية. بل إن المصدر الأكثر أهمية لقوة حماس وغيرها من الجهات المسلحة غير الحكومية التي يشار إليها عادة باسم الجماعات "الإرهابية" أو "المتمردة" هو القدرة على التجنيد، وخاصة قدرتها على جذب أجيال جديدة من المقاتلين والناشطين الذين ينفذون حملات الجماعة. ومن المرجح أن يموتوا من أجل هذه القضية. وهذه القدرة على التجنيد متجذرة في نهاية المطاف في عامل واحد: حجم وشدة الدعم الذي تستمدته المجموعة من مجتمعها.

إن دعم المجتمع يسمح للجماعة الإرهابية بتجديد صفوفها، واكتساب الموارد، وتجنب الكشف عنها، وبشكل عام، الحصول على مزيد من الموارد البشرية والمادية اللازمة لتعبئة ومواصلة حملات العنف القاتلة. إن معظم الإرهابيين، بما في ذلك الجماعات الإسلامية في الشرق الأوسط، هم من المتطوعين الذين يدخلون البلاد، وغالباً ما يكونون إما

غاضبين بسبب فقدان أفراد من عائلاتهم أو أصدقاء أو غاضبين بشكل عام من استخدام دولة قوية للقوة العسكرية الثقيلة. يبحث هؤلاء الأفراد في كثير من الأحيان عن جهات تجنيد يمكن الكشف عن هوياتهم لقوات الأمن لولا رغبة أفراد المجتمع في حمايتهم. تميل الجماعات الإرهابية إلى القتال بأسلحة تم تصنيعها إما عن طريق إعادة تشكيل المواد المدنية أو الاستيلاء عليها من قوات أمن الدولة، وغالبًا ما يتم ذلك بمعلومات استخباراتية ومساعدة يقدمها أفراد المجتمع المحلي.

والأهم من ذلك، أن دعم المجتمع ضروري لتعزيز عبادة الاستشهاد. من غير المرجح أن يتطوع الناس في المهام عالية المخاطر إذا مرت تضحياتهم دون أن يلاحظها أحد. إن المجتمع الذي يكرم المقاتلين الذين سقطوا في صفوف جماعة إرهابية يساعد في الحفاظ عليها؛ الاستشهاد يضيف الشرعية على الأعمال الإرهابية ويشجع المجندين الجدد. سوف يتصرف الإرهابيون على النحو الذي يرونه مناسبًا، ولكن المجتمع هو الذي يقرر في نهاية المطاف ما إذا كانت تضحية الفرد تحظى بمكانة عالية أو ما إذا كان ينظر إليها على نطاق واسع باعتبارها غير عقلانية، وإجرامية، وتستحق الازدراء.

وليس من المستغرب أن تبذل الجماعات الإرهابية في كثير من الأحيان جهودًا كبيرة لكسب ود المجتمعات المحلية. ومن خلال الاندماج في المؤسسات الاجتماعية، مثل المدارس والجامعات والجمعيات الخيرية والتجمعات الدينية، تصبح الجماعات الإرهابية جزءًا من نسيج المجتمعات، وأكثر قدرة على كسب المزيد من المجندين ودعم غير المقاتلين.

العديد من الحالات تظهر هذه الديناميكيات. ازدهر حزب الله بدعم شعبي متزايد بين الشيعة خلال الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان من عام 1982 إلى عام 1999، وتطور من جماعة إرهابية سرية صغيرة إلى حزب سياسي رئيسي يضم جناحًا مسلحًا يضم حوالي 40 ألف مقاتل اليوم. كان الدعم المجتمعي القوي هو الدافع وراء الحملات الإرهابية الطويلة الأمد لنمور التاميل في سريلانكا، والدرب الساطع في بيرو، وحزب العمال الكردستاني في تركيا، وطالبان في أفغانستان، وما يسمى بالدولة الإسلامية (داعش) والقاعدة في بلدان متعددة.

يمكن أن يكون فقدان دعم المجتمع مدمرًا للجماعات الإرهابية. وفي أعقاب الاحتلال الأمريكي للعراق في عام 2003، ارتفع عدد المقاتلين في التمرد السنوي من 5000 في ربيع عام 2004 إلى 20000 بحلول خريف عام 2004، ثم إلى 30000 في فبراير 2007، وفقًا للتقديرات الأمريكية. كلما زاد عدد الأشخاص الذين تقتلهم الولايات المتحدة، زاد نمو التمرد بشكل أسرع. والواقع أن التمرد لم ينهار إلا بعد أن تحولت الولايات المتحدة إلى نهج جديد، حيث قدمت حوافز سياسية واقتصادية لتشجيع القبائل السنوية على معارضة الإرهابيين. أدى هذا التحول في نهاية المطاف إلى القضاء على التمرد، حيث أدى فقدان دعم المجتمع المحلي إلى انشقاقات جماعية، ومعلومات استخباراتية قابلة للتنفيذ، وصعود قوى المعارضة السنوية التي تسمى صحوة الأنبار. وبحلول عام 2009، كان التمرد قد انهار فعليًا لسبب رئيسي واحد: وهو أن فقدان الدعم المجتمعي جعل من المستحيل على الإرهابيين تجديد صفوفهم.

### قلوب وعقول

وتساعد هذه الديناميكيات في تفسير بقاء حماس في السلطة في حربها مع إسرائيل. ويجب على المحللين أن يأخذوا في الاعتبار الأبعاد المختلفة للدعم الذي تحظى به الجماعة بين الفلسطينيين لتقييم القوة الحقيقية للجماعة. وتشمل هذه شعبيتها مقارنةً بمنافسيها السياسيين، ومدى نظر الفلسطينيين إلى العنف الذي تمارسه حماس ضد المدنيين الإسرائيليين باعتباره مقبولًا، وعدد الفلسطينيين الذين فقدوا أفراداً من عائلاتهم في الغزو الإسرائيلي المستمر

لغزة. توفر هذه العوامل، أكثر من العوامل المادية، أفضل مقياس لقدرة حماس على شن حملة إرهابية طويلة الأمد في المستقبل.

يمكن أن تساعد استطلاعات الرأي الفلسطيني في تقييم مدى الدعم المجتمعي لحماس. ولمراعاة تحديات إجراء المسح السكاني في غزة منذ 7 أكتوبر/تشرين الأول، قام المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية (PSR)، وهي منظمة استطلاعية تأسست عام 1993 بعد اتفاقيات أوسلو والتي تتعاون مع المؤسسات الإسرائيلية، ونظرًا للتوزيع السكاني غير المؤكد والمتغير في الإقليم، تم إجراء مقابلات مع النازحين في الملاجئ المؤقتة وتضاعف تقريبًا عدد المستجيبين الذين تمت مقابلتهم.

تقدم خمس استطلاعات PSR من يونيو 2023 إلى آخرها، والتي تم الانتهاء منها في يونيو 2024، نتيجة مذهلة: في جميع المقاييس تقريبًا، تتمتع حماس بدعم أكبر بين الفلسطينيين اليوم مما كانت عليه قبل 7 أكتوبر.

لقد تزايد الدعم السياسي لحماس، خاصة بالمقارنة مع منافسيها. على سبيل المثال، على الرغم من أن حماس ومنافستها الرئيسية، فتح، تمتعتا بمستويات دعم مكافئة تقريبًا في يونيو/حزيران 2023، إلا أنه بحلول يونيو/حزيران 2024، تضاعف عدد الفلسطينيين الذين دعموا حماس (40 في المائة مقارنة بـ 20 في المائة لفتح).

### إن الهجوم الإسرائيلي لا يؤدي إلى تأليب الفلسطينيين ضد حماس.

ولم يؤد القصف الإسرائيلي والغزو البري لغزة إلى تراجع التأييد الفلسطيني للهجمات ضد المدنيين الإسرائيليين داخل إسرائيل، ولا إلى تراجع التأييد لهجوم 7 أكتوبر/تشرين الأول نفسه بشكل ملحوظ. وفي مارس/آذار 2024، اعتقد 73% من الفلسطينيين أن حماس كانت على حق في شن هجوم 7 أكتوبر/تشرين الأول. هذه الأرقام مرتفعة للغاية، ليس فقط بعد أن أدت الهجمات إلى تحفيز الحملة الوحشية الإسرائيلية، ولكن أيضًا لأن عددًا أقل، 53%، من الفلسطينيين أيدوا الهجمات المسلحة على المدنيين الإسرائيليين في سبتمبر 2023.

وتستمتع حماس بلحظة "الاحتشاد حول العلم"، مما يساعد في تفسير سبب عدم قيام سكان غزة بتقديم المزيد من المعلومات الاستخبارية للقوات الإسرائيلية حول مكان وجود قادة حماس والرهائن الإسرائيليين. يبدو أن الدعم للهجمات المسلحة ضد المدنيين الإسرائيليين قد ارتفع خاصة بين الفلسطينيين في الضفة الغربية، وهو ما يتساوى الآن بحق مع مستويات الدعم العالية المستمرة لهذه الهجمات في غزة، مما يدل على أن حماس حققت مكاسب واسعة النطاق في المجتمع الفلسطيني منذ 7 أكتوبر/تشرين الأول.

وتُظهر بيانات الاستطلاع أيضًا كيف أثرت الحملة العسكرية الإسرائيلية على الفلسطينيين. اعتبارًا من مارس 2024، أصبح ثقل الثمن المتصور للحرب على السكان الفلسطينيين مرتفعًا بشكل ملحوظ. أفاد 60% من الفلسطينيين في غزة عن مقتل أحد أفراد أسرهم في الحرب الحالية، في حين أفاد أكثر من ثلاثة أرباعهم عن مقتل أو إصابة أحد أفراد الأسرة، وكلاهما أعلى بكثير مما كان عليه في كانون الأول/ديسمبر 2023. وليس لهذه العقوبة تأثير رادع كبير على الفلسطينيين، حيث فشلت في الحد من دعمهم للهجمات المسلحة ضد المدنيين الإسرائيليين ودعمهم لحماس.

قبل 7 تشرين الأول (أكتوبر)، كانت حماس قد وصلت إلى مرحلة الثبات كقوة سياسية، بل وكانت في تراجع. وكانت الجماعة تخشى أن يتم تهميش قضيتها - ومحنة الفلسطينيين على نطاق أوسع - من خلال اتفاقيات إبراهيم، وهي الاتفاقيات التي سعت إلى تطبيع العلاقات بين إسرائيل والدول العربية. قبل هجومها السافر على إسرائيل في السابع من أكتوبر/تشرين الأول، أدركت حماس مستقبلًا عديم الأهمية، حيث تضاءلت الأسباب التي قد تدفع الفلسطينيين إلى دعم الحركة.

وبعد السابع من أكتوبر/تشرين الأول، ارتفع الدعم الفلسطيني لحماس، على حساب أمن إسرائيل. نعم، لقد قتلت إسرائيل عدة آلاف من مقاتلي حماس في غزة. لكن هذه الخسائر في الجيل الحالي من المقاتلين يتم تعويضها بالفعل من خلال ارتفاع الدعم لحماس وما يترتب على ذلك من قدرة الجماعة على تجنيد الجيل القادم بشكل أفضل. وفي غضون ذلك، وإلى أن يصل هؤلاء المجندون الجدد، فإن كل الدلائل تشير إلى أن مقاتلي حماس الحاليين من المرجح أن يكونوا أكثر حرصاً من أي وقت مضى على شن حرب عصابات مطولة ضد أي أهداف إسرائيلية يمكنهم ضربها.

### قوة الرسالة

من المؤكد أن العقوبة الهائلة التي فرضتها إسرائيل على غزة تدفع العديد من الفلسطينيين إلى الشعور بمزيد من العداء تجاه الدولة اليهودية. ولكن لماذا تستفيد حماس من رد الفعل هذا؟ ففي نهاية المطاف، كان هجومها هو السبب المباشر للحرب التي سوت مساحات واسعة من غزة بالأرض وقتلت أعداداً كبيرة من الناس.

تكمّن الإجابة إلى حد كبير في الحملة الدعائية المتطورة التي تشنها حماس، والتي تبني تفسيراً إيجابياً للأحداث وتنسج الروايات التي تساعد الجماعة على كسب المزيد من المؤيدين. وفي إعادة صياغة ما قاله المحلل النفسي الأميركي إدوارد بيرنيز، فإن الدعاية لا تعمل من خلال خلق وغرس الخوف والغضب بقدر ما تفعل ذلك من خلال إعادة توجيه هذه المشاعر نحو أهداف ملموسة. وتشكل جهود حماس مثلاً رئيسياً على هذا التكتيك. منذ بدء الحرب، قامت الجماعة بنشر كمية هائلة من المواد، معظمها عبر الإنترنت، في محاولة لحشد الشعب الفلسطيني حول قيادتها وسعيها لتحقيق النصر ضد إسرائيل.

قام فريق تحليل الدعاية العربية - وهو مجموعة متخصصة من اللغويين العرب المتخصصين في جمع وتحليل الدعاية العسكرية باللغة العربية - في مشروع جامعة شيكاغو حول الأمن والتهديدات بدراسة الدعاية العربية التي تنتجها حماس وجناحها العسكري كتائب القسام، و تم توزيعها على قناة التلغرام الرسمية للكتائب في أعقاب 7 أكتوبر/تشرين الأول. وقد نشرت قناة التلغرام هذه، التي تضم أكثر من 500 ألف مشترك، رسائل وصور ومقاطع فيديو وغيرها من المواد الدعائية كل يوم تقريباً منذ هجمات 7 أكتوبر/تشرين الأول. وقام محمد الجوهري، قائد فريق البحث، بتحليل أكثر من 500 جزء من الدعاية من 7 أكتوبر 2023 إلى 27 مايو 2024. ومن غير المعروف عدد الفلسطينيين الذين يستهلكون هذه المواد عبر الإنترنت، لكن غزة والضفة الغربية تتمتعان بإمكانية الوصول إلى الإنترنت يومياً، ولو بشكل متقطع. ويعكس المحتوى الرقمي لحماس جهودها الدعائية في شبكات المجتمع المحلي.

تركز المواد على ثلاثة مواضيع: ليس أمام الشعب الفلسطيني خيار سوى القتال لأن إسرائيل عازمة على ارتكاب فظائع لا توصف ضد جميع الفلسطينيين حتى لو لم يشاركوا في عمليات عسكرية، وتحت قيادة حماس، يستطيع الفلسطينيون هزيمة إسرائيل في ساحة المعركة، و هؤلاء المقاتلون الذين يموتون في المعركة سيحصلون على الشرف والمجد. نشرت حماس عددًا كبيراً من مقاطع الفيديو والبيانات والمواد الأخرى لإثبات أن هجومها على إسرائيل في 7 أكتوبر/تشرين الأول كان رداً ضرورياً ومبرراً على الاحتلال الإسرائيلي والفظائع والعدوان الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني، بما في ذلك التوغلات المتكررة للمسجد الأقصى المقدس. في مدينة القدس، على يد قوات الأمن الإسرائيلية ونشطاء ومستوطنين إسرائيليين.

ولنتأمل هنا بيان حماس الذي نُشر أصلاً في 22 كانون الثاني (يناير) وتم توزيعه على نطاق واسع حتى في وسائل الإعلام الإسرائيلية. ويشرح هذا الإعلان المستفيض بعمق مبررات الجماعة لمهاجمة إسرائيل، مع التركيز على ما

يصفه بالمظالم الطويلة الأمد بشأن تصرفات الحكومة الإسرائيلية والمستوطنين، بما في ذلك الاقترحات الإسرائيلية للمسجد الأقصى في القدس والقيود المفروضة على المصلين الفلسطينيين هناك؛ والتوسع المستمر للمستوطنات في الضفة الغربية؛ والمعاملة المروعة المزعومة التي يتعرض لها المعتقلون الفلسطينيون في إسرائيل؛ والحصار الوظيفي الذي تفرضه إسرائيل على غزة وفرض سياسات شبيهة بالفصل العنصري في الضفة الغربية. هذا البيان هو مجرد واحد من عشرات المنشورات التي تشير إلى نقاط مماثلة.

وتؤكد العديد من مقاطع الفيديو والصور والملصقات على براعة حماس العسكرية، وتعرض الهجمات الناجحة على أهداف إسرائيلية، وخاصة المركبات المدرعة والدبابات. وتهدف هذه المنشورات إلى إبراز قوة الجماعة وفعاليتها، مما يشير إلى أن حماس يمكن أن تلحق الضرر بشكل كبير بخصومها المتفوقين من الناحية التكنولوجية. وفي هذه الدعاية، يظهر المقاتلون بكامل معداتهم القتالية والزي التكتيكي، ومجهزين بالخوذات والنظارات الواقية والأسلحة المتقدمة، مما يسلط الضوء على جاهزيتهم العملية. كما تظهر الرمزية الدينية، مثل الآيات القرآنية، بشكل كبير، مما يصور كفاح حماس على أنه كفاح روحي. تساعد الدعاية في رفع المقاتلين الذين سقطوا إلى مرتبة الشهداء الذين ماتوا وهم يقاتلون إسرائيل في خدمة قضية نبيلة وشرعها الله. إن تمجيد استشهادهم يلهم المجندين الجدد المحتملين.

تتوافق دعاية حماس منذ 7 تشرين الأول (أكتوبر) بشكل كامل مع النتائج التي توصلت إليها استطلاعات الرأي العام للمواقف الفلسطينية. ويشير التوافق الوثيق بين جوهر دعاية حماس والدعم المتزايد لحماس على وجه الخصوص وللنضال المسلح ضد إسرائيل بشكل عام في استطلاعات الرأي العام إلى أن حماس تحفز هذا الدعم أو أن دعايتها تعكس الأسباب الرئيسية لهذا الدعم. وفي كلتا الحالتين، تستفيد حماس من الحرب لتزداد قوة من خلال الروابط المتزايدة الاتساع بين المجتمع والجماعة المسلحة.

### الحقيقة الصارخة

وبعد تسعة أشهر من الحرب المرهقة، حان الوقت للاعتراف بالحقيقة الصارخة: ألا يوجد حل عسكري فقط لهزيمة حماس. ويبلغ عدد مقاتلي الجماعة أكثر من مجموع عدد مقاتليها الحالي. إنها أيضاً أكثر من مجرد فكرة مثيرة للذكريات. إن حماس حركة سياسية واجتماعية جوهرها العنف، ولن تختفي في أي وقت قريب.

إن الإستراتيجية الإسرائيلية الحالية المتمثلة في العمليات العسكرية المكثفة قد تؤدي إلى مقتل بعض مقاتلي حماس، لكن هذه الإستراتيجية لا تؤدي إلا إلى تعزيز الروابط بين حماس والمجتمع المحلي. طيلة تسعة أشهر، واصلت إسرائيل تنفيذ عمليات عسكرية غير مقيدة تقريباً في غزة، ولم تحقق إلا قدراً ضئيلاً من التقدم الواضح نحو تحقيق أي من أهدافها. إن حماس لم تُهزم ولا هي على وشك الهزيمة، وقضيتها أصبحت أكثر شعبية وجاذبية أقوى مما كانت عليه قبل السابع من أكتوبر/تشرين الأول. وفي غياب خطة قد يقبلها الفلسطينيون لمستقبل غزة والشعب الفلسطيني، فإن الإرهابيين سوف يستمرون في العودة بأعداد كبيرة.

ومع ذلك، يبدو أن القادة الإسرائيليين لم يعودوا أكثر استعداداً لتصور مثل هذه الخطة السياسية القابلة للتطبيق عما كانوا عليه قبل السابع من أكتوبر/تشرين الأول. ولا تلوح في الأفق نهاية تذكر للمأساة المستمرة في غزة. وسوف تستمر الحرب، وسيتم المزيد من الفلسطينيين، وسوف يتزايد التهديد لإسرائيل.